
المنظومة
ALMANDUMAH



لائحة بناصا
أقدم وثيقة عن العلاقات الدبلوماسية
بين روما والمغرب القديم



انطلاقا من سنة 40 ميلادية أصبح المغرب إقليمـــا تابعـــا للإمبراطوريـــة الرومانية،ويعرف تحت إسم موريطانيا الطنجية نسبة إلى مدينة تينجي (طنجة) التـــي كانت عاصمة للمملكة المورية منذ القرن الرابع قبل الميلاد إلــــى ســـنة أربعيـــن ميلادية، وهي السنة التي عرفت مقتل آخر ملك موري.

ضم إقليم موريطانيا الطنجية مجموعة مراكز حضرية كتينجـــي (طنجـــة) وليكسوس التي توجد أطلالها اليوم قرب العرائش، ووليلي، وسلا وتموسيدة قـــرب القنيطرة، وفي سهل الغرب تعتبر بناصا الموجودة على الضفة اليسرى لنهر ســـبو على بعد 17 كلم من مدينة مشرع بلقصيري أهم موقع أثري تم الكشف عنـــه لحـــد الآن(1). ويرجع الفضل في اكتشاف هذا الموقع إلى القنصل الفرنسي شـــارل تيســـو سنة 1871، وقد قام الباحث ريموند توفنو خلال الفترة الممتدة بين سنة 1933 و1955 بالكشف عن أهم معالم المدينة الرومانية المتمثلة في عدد من المبـــاني العموميـــة: معبد، ساحة عمومية، حمامات،...وبنايات خاصة تمثلها أحياء سكنية تتكـــون مـــن منازل رفيعة وأخرى عادية.

* أستاذ باحث بالمدرسة العليا للأساتذة – الرباط .

لقد كانت مدينة بناصا إحدى المستوطنات الثلاث التي تم خلقها في الفترة الممتدة بين سنة 33 ق.م و27 ق.م وهي الفترة المعروفة بفترة فراغ العرش، أقيمت على أنقاض تجمع حضري قديم يرجع إلى القرن الخامس قبل الميلاد(2). وتعود أسباب إقامة هذه المستوطنة إلى عدة عوامل سياسية واستراتيجية، وهي من جهة التخلص من فائض الجنود بعد نهاية الحروب الأهلية وذلك بمنحهم أراضي خصبة خارج روما، ومن جهة أخرى استخدام هذه المستوطنات كوسيلة لنشر الرومنة والتمهيد للسيطرة التامة.

لقد اشتهرت بناصا، على الخصوص ، بعدد الوثائق الإيبغرافية(3) التي تم العثور عليها خلال الحفريات التي عرفها الموقع، كالشهادات العسكرية والوثائق الدبلوماسية التي تكتسي أهمية كبرى، مما جعل كثيرا من علماء النقائش والأثريين والمؤرخين والمهتمين بالتاريخ الدبلوماسي يولونها اهتماما خاصا. ومن بين هذه الوثائق تحتل صفيحة بناصا مكانة متميزة في هذا الشأن، ويتعلق الأمر بصفيحة برونزية قياساتها كالتالي : طول 64 سنتم وعرض 42,5 سنتم من 0,8 إلى 0,9 سنتم (4) تحمل نصا منقوشا بالحروف اللاتينية، وقد تم العثور عليها سنة 1957. ومن المحتمل أنها كانت معلقة على أحد جدران الفورم، وهي الساحة العمومية للمدينة، وذلك لكي يطلع عليها جميع سكان المدينة. وتحتوي هذه الصفيحة على ثلاثة نصوص عبارة عن رسالتين وموجز. ونقدم فيما يلي ترجمة لمحتويات هذه الصفيحة :

الرسالة الأولى :

" نسخة من رسالة للإمبراطورين المبجلين أنطونيوس وفيروس إلى كويديوس ماكسموس: لقد اطلعنا على ملتمس الزغرنسي يوليانوس الملحق برسالتك، وعلى الرغم من أنه ليس من العادة منح المواطنة الرومانية إلى مثل أبناء هذه القبائل، اللهم إلا إذا بلغت الخدمات المسداة منزلة تستدعي معها الحظوة الإمبراطورية، وباعتبار هذا الرجل، حسب شهادتك، من علية قومه وأنه برهن عن وفائه بتفان تام، واعتبارا، من جهة أخرى، لما نعتقده من أنه ليس هناك، ضمن الزغرنسيين، عائلة أخرى قادرة على تقديم خدمات مماثلة، علاوة على رغبتنا في أن يحذو الكثير حذو يوليانوس في التماس الشرف الذي تمنحه لهذه الأسرة، لا نتردد في منح المواطنة ليوليانوس وكذلك لزوجته زدينا وأبنائهما يوليانوس ماكسموس، وديوكنيانوس، مع تمتعهم بحقهم في انتمائهم القبلي".

هذه الرسالة المؤرخة ما بين 161 و 169م وموجهة من قبل الإمبراطورين ماركوس أوريليوس ولوكيوس فيروس إلى حاكم إقليم موريطانيا الذي وافاهما بملتمس يوليانوس الزغرنسي الذي يطلب فيه الحصول على المواطنة الرومانية هو وزوجته زدينا وأبناؤهما(5). ونعت الزغرنسي الذي يرد في هذه الرسالة، مشتق من

اسم قبيلة الزغرنسيين والتي وردت في شأنها عدد من التفاسير، فبطليموس في جغرافيته يورد مجموعة من القبائل من بينها قبيلة الزغرنسيين التي يوطنها خلف السهل الأحمر، هذه التسمية تنطبق عموما على المناطق التي تتميز بالانبساط وباحمرار التربة. وقد اعتاد الباحثون على توطين السهل المذكور عند بطليموس بحوز مراكش(6)، إلا أن اكتشاف نقيشة بناصا، مكنت من إعادة النظر في هذه المعطيات ويبدو حسب قراءة جديدة(7) لنص بطليموس على ضوء وثيقة بناصا أن السهل الأحمر يطابق في الأصل المنطقة الوسطى لوادي بهت التي تتميز بتربتها الحمراء. هكذا يمكن توطين قبيلة الزغرنسيين جنوب شرق بناصا مما يفسر تردد هؤلاء على هذه المدينة. وقد تضاربت آراء الباحثين حول دلالة كلمة الزغرنسيين وأصل اشتقاقها إذ قرب البعض الكلمة من أزاغار الذي يطلق على السهل ومن أزكر – إكر الذي يعني العجل أو أهكار وهم سكان الهكار.

من خلال هذه الفرضيات يمكن أن نعتبر أن تسميتهم مرتبطة إما بالنشاط الرعوي الذي يتعاطونه وإما بكونهم يسكنون السهل، وبالتالي يتعاطون لتربية الماشية إلى جانب نشاطهم الزراعي، خصوصا إذا علمنا أن أزغار هي التسمية القديمة لسهل الغرب. ورغم الطابع المغري لهذه الفرضيات، فإن كلمة الزغرنسيين لا يمكن الإلمام بدلالتها إلا بالرجوع إلى فحص شامل لكل أسماء الأماكن الحالية التي تشترك معها في جذر "زكر" . كما تجدر الإشارة ، في هذا السياق إلى أن النصوص لم تتناول تركيبة القبائل المحلية، غير أن بعض الإشارات في نص النقيشة تمكن من أخذ فكرة عن بنية القبيلة، إذ نستنتج من هذه الوثيقة أن قبيلة الزغرنسيين كانت تتكون من عدة عشائر، وكل عشيرة مركبة من مجموعة عائلات والعائلة حسب الوثيقة هي وحدة مكونة من الأب والأم وأبنائهما فقط.

وبالنسبة للشخص الذي تتحدث الرسالة الأولى عن مواطنته وهو يوليانوس فلم يكن إلا أحد أعيان هذه القبيلة بدليل أنه لا يحمل لقب "زعيم" على الصفيحة لكن يظهر أنه كان يتمتع بالجنسية الرومانية ما دام يحمل إسما رومانيا، ملاحظة تنطبق كذلك حتى على أبنائه، والطريف أن أحد أبنائه يحمل إسم ديوجنيانوس، وهو إسم إغريقي لا يوجد بإفريقيا على الإطلاق، أما إسم زوجته – زدينا – فهو إسم موري يمكن مقاربته بصيغ أخرى كصدينا الوارد بنقائش موريطانيا القيصرية (غرب الجزائر الحالية).

الرسالة الثانية :

" نسخة من رسالة الإمبراطورين المبجلين أنطونيوس وكومودوس إلى فاليوم مكسميانوس: اطلعنا على رسالة زعيم قبيلة الزغرنسيين وتبينا مدى الحظوة التي كان يتمتع بها لدى إفديوس كوادرتوس سلفك [في المنصب] وعليه، فاعتمادا على شهادة (هذا الأخير) وعلى خدمات [زعيم الزغرنسيين] والأمثلة التي

يرفقها ، نمنح لزوجته وأبنائه المواطنة الرومانية مع احتفاظهم بحقهم في انتمائهم القبلي، ولكي يتم إثبات هذا القرار في سجلاتنا، تحر عن عمر كل واحد من هؤلاء [المستفيدين] ووافنا بذلك.

يتعلق الأمر برسالة مؤرخة بسنة 177م (8) وجهها الإمبراطوران ماركوس أورليوس وكومودوس إلى حاكم موريطانيا الطنجية تحمل قرار منح المواطنة الرومانية إلى أوريليوس يوليانوس زعيم قبيلة الزغرنسيين وزوجته وأبنائه، وذلك على إثر ملتمس هذا الأخير الذي أرفق بتزكية من الحاكم السابق لإقليم موريطانيا الطنجية، وقد أكدت رسالة الإمبراطور على ضرورة التعرف على أعمار هؤلاء المستفيدين حتى يتم تدوينها في السجلات الرسمية بروما.

أوريليوس يوليانوس هو ابن يوليانوس الأول كان زعيما لقبيلة الزغرنسيين كما أن جميع أبنائه يحملون أسماء رومانية ما عدا أصغر أبنائه الذي لم يتجاوز عمره السنتين، والذي يحمل نفس الإسم الإغريقي الذي يحمله أحد أعمامه، أما زوجته فتحمل إسم فكورة وهو إسم محلي.

موجز من السجل الإمبراطوري للمواطنة :

" موجز محقق ومنقول عن "سجل المواطنة الرومانية الممنوحة من طرف المؤله أغسطس وتيبر أغسطس قيصر وكايوس قيصر والمؤله كلاوديوس، وتيرون وكالبا والمؤلهين المبجلين فيسباسيان وتيتوس والقيصر دوميتيانوس والمؤلهين المبجلين نيرفا وتريانوس البارتيكي وتريمانوس هادريانوس وهادريان أنطونيوس الورع وفيروس الجرماني، الميدي البارتي ماكسموس والإمبراطور القيصر ماركوس أورليوس أنطونيوس المبجل قاهر الجرمان والسرماتيين والإمبراطور القيصر لوكيوس أورليوس كومودوس المبجل قاهر الجرمان والسرماتيين (هذا الموجز) الذي قدمه المعتق اسكلفيودتوس، وهذا هو الموجز: على عهد قنصلية الإمبراطور القيصر لوكيوس أورليوس كومودوس المبجل وفلطيوس فنتلوس خلال شهر يوليوز بروما.

– فكورا زوجة يوليانوس زعيم قبيلة الزغرنسيين وعمرها 22 سنة ، يوليانا وعمرها 8 سنوات ، مكسيما وعمرها أربع سنوات، ويوليانوس وعمره ثلاث سنوات ديوحنيانوس وعمرها سنتان (وكلهم) أبناء يوليانوس المذكور أعلاه.

بطلب من أوريليوس يوليانوس زعيم قبيلة الزغرنسيين حسب المكتوب بموافقة فاليوس مكسيميانوس من خلال الرسالة، نمنحهم المواطنة الرومانية مع حفاظهم على امتيازهم القبلي دون أن تخفض ضرائبهم والرسوم المستحقة للشعب الروماني وخزينة الدولة.

حرر في نفس اليوم، في نفس المكان وفي عهد نفس القنصليين، أنا أسكلبيودوتوس،المعتق، قمت بالمراجعة.

وقع:
ماركوس كافيــوس، سكويلا كاليكانوس بن ماركــوس، مـــن قبيلـــة بوبليليـــا (Poblilia) ومانيوس اكليوس، كلابريوس، بن مانيوس، من قبيلة كاليريا(Galeria) وتيتوس سكستوس لا تيرانوس بن تيتوس، من قبيلة فوتوريا (Voturia) وكـــايوس سبتموس سيفيروس بن كايوس من قبيلة كرينـا (Quirina) وبوبليــوس أيوليــوس سكابولا تيرتيلوس بن كايوس من قبيلة سربيا (Sorbia) وتيتوس فاريوس كليمانوس بن تيتوس من قبيلة كلوديا (Claudia) وماركوس باسايوس روفوس بن مـــاركوس من قبيلة ستيلاتينا(Setellatina) وبوبليوس تاروتيانوس باترنوس بن بوبليوس، مـــن قبيلة بوبليليا.

... تيجديوس ... برينيس.

كوانتوس كيروفيديوس سكايفولا بن كزانتوس، من قبيلة كورينا (Quirina) تيتوس فلافيوس بيسوس بن تيتوس ، من قبيلة بلاتينا(Palatina)".

يحتوي السجل الإمبراطوري على أسماء الحاصلين على المواطنة الرومانية والنص أعلاه هو نسخة طبق الأصل للقرار المؤرخ ب 6 يوليوز 177م والخـــاص بمنح المواطنة الرومانية لفكورة زوجة يوليوس أورليانوس وأبنائهما الأربعة.

إن الجزء الأخير من الصفيحة يوضح الطريقة التي يتم بـــها مراجعـــة أو تحقيق المواطنة، ويطرح مسألة ما إذا كان المستفيدون يحصلون على شهادة مماثلـــة للشهادات العسكرية، إذ وقع وصادق على الموجز الموجه ليوليـــانوس اثنـــا عشـــر شاهد بدل سبعة وهذا العدد الاستثنائي للشهود، إضافة إلى مكانتهم المرموقـــة يـــدل على أن الزعيم الموري كان يتمتع بحظوة كبيرة، وخاصة وقد وردت أسماء هـؤلاء الشهود مرتبة حسب أقدمية درجاتهم ووظائفهم وكلهم ينتمون إلى المجلس الأعلـــى بروما، والذي اجتمع في يوليوز 177 لتدارس المسألة وقد أثبت قرار المواطنة فـــي السجل الإمبراطوري، كما تم بشكل فوري إعداد نسخة طبق الأصل مـــن طـــرف معتق يدعى اسكليبيودوتوس(9).

تعتبر وثيقة بناصا شهادة عن العلاقات الدبلوماسية بين الديـــوان الرومـــاني وموريطانيا الطنجية خلال فترة الاحتلال الروماني لهذه الرقعة، ويستفاد مـــن هـــذه الوثيقة السياسة التي نهجتها روما في محاولة إخضاع القبائل لسيطرتها، عن طريـــق منح المواطنة لبعض زعماء القبائل، حيث نتوفر على شهادات أخرى، يتعلق الأمـــر كذلك بمنح المواطنة لزعيم البقواط كارناطا، وبخلاف الزغرنسيين فإن المواطنة لـــم تمنح لأبنائه(10)، وإضافة إلى الدبلوماسية بين روما والمغرب القديم، فقـــد تضمنـــت معلومات عن تركيبة قبيلة الزغرنسيين وعلاقاتهم بحاضرة بناصا وهو أمر ســـاعد إلى حد ما في توطين هذه القبيلة، كما تضمنت معلومات تاريخية عن سياسة رومـــا في المنطقة.

الهوامـــش:

1) — أنظر حول هذه المدينة ، البحث الذي أنجزناه كموضوع لرسالة دبلوم الدراسات العليا : سيدي محمد العيوض، **موقع بناصا الأثري دراسة مونوغرافية (من الأصول إلى الجـــلاء الرومـــاني)**. كليـــة الآداب أكدال الرباط 1999(رسالة مرقونة).

2) – Euzennat (M.) , Marion (J.) : Inscriptions antique du Maroc, 2 , inscriptions latines, Paris, 1982, P : 69.

3) — قدمنا ترجمة لكل هذه الوثائق في ملحق البحث الذي أنجز حول بناصا : أنظر هذا العدد : سيدي محمـــد العيوض، **موقع بناصا الأثري دراسة مونوغرافية (من الأصول إلى الجلاء الروماني)** ص : 352 – 374.

4) – Euzennat (M.), Marion (J.) : Inscriptions, P : 76.

5) – ID. Ibid, P : 84.

6) – Frezouls (L.) : Rome et la Mauretanie Tingitane, un constat d'echec ? dans Ant.Af. t.16 1980, P : 83.

7) – Hamdoune (C.) : Ptolemée et la localisation des tribus de Tingitane dans MEFRA, t.105, 1 – 1993, P : 241 – 289.

8) – Euzennat (M.) , Marion (J.) : Inscriptions, P : 87 et 88.

9) – ID. Ibid, P : 89 – 91.

10) – Seston (W.° : Remarques prosopographiques autour de la tabula Banasitana, dans BCTH, n.s., 1971, Paris, 1973, p : 323.